

عرف النقد العربي الحديث والمعاصر مجموعة من المناهج النقدية بفضل المثاقفة و الترجمة والاحتكاك مع الغرب ، من بينها : المنهج البنيوي اللساني والمنهج البنيوي التكويني والمنهج التفكيكي ومنهج القراءة والتقبل الجمالي والمنهج السيميولوجي الذي أصبح منهجا وتصورا ونظرية وعلما لايمكن الاستغناء عنه لما أظهر عند الكثير من الدارسين والباحثين من نجاعة تحليلية وكفاءة تشرحية في شتى التخصصات والمعارف الإنسانية.إذا، ماهي السيميولوجيا؟ وما منابعها؟ وما مركزاتها المنهجية؟ وما هي اتجاهاتها ومدارسها؟ وما مجالات تطبيقها سواء في الغرب أم عند العرب؟ وإلى أي مدى حقق البحث السيميائي نجاعته وفعاليته في مقارنة النصوص وتحليلها ولاسيما الأدبية منها . هذه هي الأسئلة التي سوف نحاول الإجابة عنها قدر الإمكان.

-1تعريف المصطلح:

إن أهم الإشكالات النظرية التي يصطدم بها الدرس السيميائي يتجلى بالأساس في تداخل المصطلحات وتشعبها واختلاف مضامينها. لذلك سوف نقتصر في هذا الصدد على تحليل مدلول المصطلحين الرئيسيين المستعملين في هذا الحقل المعرفي وهما: السيميوطيقا Sémiotique والسيميولوجيا sémiologie معترفين أننا محاولنا إيجاد محاولة لتعريف هذين المصطلحين لانستطيع أن نستقر على تعريف دقيق ومحدد، لأن " أية محاولة للتعريف، لا بد لها أن تصطدم بتعدد وجهات النظر في تحديد هوية هذا الحقل المعرفي تحديدا قارا. خصوصا إذا نحن أدركنا الحيز الزمني الذي يستغرقه وهو حيز قصير " ويضيف جون كلود كوكيه J.C.Coquet أحد اقطاب مدرسة باريس السيميائية قائلا: " إن القارئ العادي، وكذلك الباحث في مجال العلوم الاجتماعية من حقهما أن يتساءلا عن موضوع هذا العلم، إلا أنهما مع ذلك يجب أن يعلما- على الأقل- أن التعريفات والتحديدات، تختلف ولاسيما إذا تعلق الأمر بموضوع علمي لم يمر على ميلاده وقت طويل ."

إن هذين المصطلحين يترادفان على المستوى المعجمي، حيث استعملا في الأصل للدلالة على " علم في الطب وموضوعه دراسة العلامات الدالة على المرض". ولاسيما في التراث الإغريقي حيث عدت السيميوطيقا جزءا لايتجزأ من علم الطب.

وقد وظف أفلاطون لفظ Sémiotike للدلالة على فن الإقناع، كما اهتم ارسطو هو الآخر بنظرية المعنى وظل عملهما في هذا المجال مرتبطا أشد مايكون بالمنطق الصوري، ثم توالت اهتمامات الرواقيين الذين أسسوا نظرية سيميولوجية تقوم على التمييز بين الدال والمدلول والشيء (المرجع). ومع بداية النهضة الأوروبية نصادف الفيلسوف ليبنتز Leibnitz الذي "حاول أن يبحث عن نحو كلي للدلائل، وعن ضرورة وجود لغة رياضية شكلية تنطبق على كل طريقة في التفكير ."

وإذ حاولنا استقراء تراثنا العربي، وجدناه حافلا بالدراسات المنصبة على دراسة الأنساق الدالة، وكشف قوانينها ولاسيما تلك الجهود القيمة التي بذلها مفكرون من مناطق بلاغيين وفلاسفة وأصوليين... إلخ. بيد أن مثل هذه الآراء السيميولوجية التي شملتها كل هذه المجالات المعرفية لم تكن منهجية أو مؤسسة على أسس متينة ولم تحاول يوما أن تؤسس نظرية متماسكة تؤطرها أو تحدد موضوع دراستها أو اختيار الأدوات والمصطلحات الإجرائية الدقيقة التي تقوم عليها. وبالتالي لم تفكر في استقلالية هذا العلم، بل ظلت هذه الآراء السيميولوجية مضطربة تجرفها وتتقاذفها التصورات الإيديولوجية والسوسيولوجية والثقافية. ويقول مبارك حنون في هذا الصدد: "إلا أن مثل تلك الآراء السيميولوجية التي احتضنتها مجالات معرفية عديدة. بقيت معزولة عن بعضها البعض. ومفتقدة لبنية نظرية تؤطرها كلها.

وإذا، بقيت عاجزة عن أن تبني لنفسها كيانا تصوريا ونسيجا نظريا مستقلا إلى أن جاء كل من سوسير وبورس .

ينفق جل الباحثين على أن المشروع السيميولوجي المعاصر بشر به سوسير في فرنسا في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة"، وارتبط هذا العلم بالمنطق على يد الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بورس . CHS PEIRCE في أمريكا. لكن على الرغم من ظهورهما في مرحلة زمنية متقاربة، فإن بحث كل منهما استقل وانفصل عن الآخر انفصالا تاما إلى حد ما. فالأول - كما قلنا - بشر في "محاضراته" ب "ظهور علم جديد سماه السيميولوجيا (Sémiologie) سيهتم بدراسة الدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية ولن يعدو أن يكون موضوعه الرئيسي مجموعة الأنساق القائمة على اعتباطية الدلالة" على حد تعبير سوسير -

- Saussure الذي يقول كذلك في هذا الصدد: "ونستطيع - إذا - أن نتصور علما يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي، وهذا العلم يشكل جزءا من علم النفس العام. ونطلق عليه مصطلح علم الدلالة : Sémiologie من الكلمة الإغريقية دلالة. Sémion وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تقتنص بها أنواع الدلالات والمعاني. ومادام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبأ بمصيره غير أننا نصرح بأن له الحق في الوجود وقد تحدد موضوعه بصفة قبلية. وليس علم اللسان إلا جزءا من هذا العلم العام ."

وقد تزامن هذا التبشير مع جهودات بورس (1839-1914) الذي نحا منحى فلسفيا منطقيًا. وأطلق على هذا العلم الذي كان يهتم به ب "السيميوطيقا" SEMIOTIQUE " واعتقد تبعا لهذا أن النشاط الإنساني نشاط سيميائي في مختلف مظاهره وتجلياته. ويعد هذا العلم في نظره إطارا مرجعيا يشمل كل الدراسات. يقول وهو بصدد تحديد المجال السيميائي العام الذي يتبناه : " إنه لم يكن باستطاعتي يوما ما دراسة أي شيء - رياضيات كان أم أخلاقا أو ميتافيزيقا أو جاذبية أو ديناميكا حرارية أو بصريات أو كيمياء أو تشريحا مقارنا أو فلكا أو علم نفس أو علم صوت، أو اقتصاد أو تاريخ علوم أو ويستا (ضرب من لعب الورق) أو رجالا ونساء، أو خمرًا، أو علم مقاييس دون أن تكون هذه الدراسة سيميائية ."

إذا، فالسيميوطيقا حسب بورس تعني نظرية عامة للعلامات وتمفصلاتها في الفكر الإنساني، ثم إنها صفة لنظرية عامة للعلامات والأنساق الدلالية في كافة أشكالها... وبالتالي، تعد سيميائية بورس مطابقة لعلم

المنطق . يقول أمبرطو إيكو Umberto Eco في هذا الخصوص عن بورس محددًا مضمون علمه بكل دقة ووضوح وعلاقته بعلم المنطق: "لنستمع الآن إلى بورس: إنني حسب علمي الرائد أو بالأحرى أول من ارتاد هذا الموضوع المتمثل في تفسير وكشف ماسميته السيميوطيقا SEMIOTIC أي نظرية الطبيعة الجوهرية والأصناف الأساسية لأي سيميوزيس محتمل" إن هذه السيميوطيقا التي يطلق عليها في موضع آخر "المنطق" تعرض نفسها كنظرية للدلائل. وهذا مايربطها بمفهوم " السيميوزيس " الذي يعد على نحو دقيق الخاصة المكونة للدلائل ."

ويحسن بنا في هذا المضمار، أن نستحضر بعض تعاريف باقي الباحثين السيميائيين ولو بإيجاز كي يتسنى لنا التمييز بين المصطلحين أو بعبارة كي نستطيع الإجابة عن السؤال الذي يفرض نفسه علينا بالباح الأ وهو: الفرق بين المصطلحين .وبالتالي، هل يؤثر تغيير شكل المصطلحين على تغيير مضمونهما؟ فهذا بيير غيرو -Pierre Guiraud أحد أساتذة جامعة نيس الفرنسية- يعرف السيميوطيقا قائلًا: "السيميوطيقا علم يهتم بدراسة أنظمة العلامات ، اللغات، أنظمة الإشارات، التعليمات... إلخ. وهذا التحديد يجعل اللغة جزءا من السيميوطيقا ."

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أعلاه ، أن غيرو يتبنى نفس الطرح السوسيري الذي يعتبر اللسانيات فرعا من السيميولوجيا، غير أن رولان بارت Roland Barthes سيفند هذا الطرح ويقاب المعادلة على عقبيها ، بتأكيد على أن السيميولوجيا لايمكن أن تكون سوى نسخة من المعرفة اللسانية .فإذا كان العالم السوسيري قد ضيق الدرس السيميولوجي ووجه كل اهتماماته للغة، وجعلها الأصل محل الصدارة ، فإن مفهوم بارت للسيميولوجيا فسخ المجال بحيث اتسع حتى استوعب دراسة الأساطير واهتم بأنسقة من العلامات التي أسقطت من سيميولوجية سوسير كاللباس وأطباق الأكل والديكورات المنزلية ،ونضيف الأطعمة والأشربة وكل الخطابات التي تحمل انطباعات رمزية ودلالية.

أما جورج مونان George Mounin أحد أنصار اتجاه سيمياء التواصل بفرنسا إلى جانب كل من برييطو Prieto وبويسنس Buysens ومارتينيه...Martinet إلخ فيعني بالسيميولوجيا: "دراسة جميع السلوكات أو الأنظمة التواصلية، وعض في الفرنسية بالسيميوطيقا . " SEMIOTIQUE ثم نصادف باحثا آخر وهو أمبرطو إيكو أحد اقطاب المدرسة الإيطالية السيميائية الذي يفضل استبدال مصطلح السيميولوجيا SEMIOLOGIE بمصطلح السيميوطيقا SEMIOTIQUE يقول في مستهل كتابه: البنية الغائبة La structure Absente معرفا هذا العلم " السيميوطيقا تعني علم العلامات. "

أما بالنسبة لمدرسة باريس التي تضم كلا من غريماس Greimas وكوكيه Coquet وأريفي Arrivé إلخ...فلها تعريف مغاير للتعريف السالفة الذكر. فالسيميوطيقا في مشروعها" تأسيس نظرية عامة لأنظمة الدلالة. " هذا، ويتبين لنا من خلال التعريف أن السيميولوجيا والسيميوطيقا متقاربتان في المعنى. فالسيميولوجيا -إذا- مترادفة للسيميوطيقا، وموضوعها دراسة أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغويا أو سننيا أو مؤشريا كما تدرس أنظمة العلامات غير اللسانية. فلم تعد ثمة أسباب أو مبررات تجعل أحد المصطلحين يحظى بالسيادة دون الآخر. وإن كانت هناك أسباب تميز بعضهما. فهي في الواقع أسباب تافهة تعتمد النزعة الإقليمية على

حد تعبيريترنس هو كز الذي يقول في هذا الخصوص: " ومن غير اليسير التمييز بينهما، وتستعمل كلتا اللفظتين للإشارة إلى هذا العلم (يعني به علم الإشارات) والفرق الوحيد بين هاتين اللفظتين أن السيميولوجيا مفضلة عند الأوربيين تقديرا لصياغة سوسير لهذه اللفظة، بينما يبدو أن الناطقين بالإنجليزية يميلون إلى تفضيل السيميوطيقا احتراما للعالم الأمريكي بيرس؛ لكن الصيغة الثانية السيميوطيقا كتسمية لمجال هذا العلم هي التي أقرت أخيرا. وقد أخذ بها من قبل " المجمع الدولي لعلم السيميوطيقا" المنعقد بباريس في شهريناير سنة 1909م. يقول أميرطو إيكو في هذا الصدد: " لقد قررنا على كل حال أن نتبنى هنا بصفة نهائية مصطلح السيميوطيقا Sémiotique بدون أن نتوقف عند المناقشات حول التوريطات الفلسفية أو المنهجية لكلا المصطلحين. نحن نخضع بكل بساطة للقرار المتخذ في يناير سنة 1969 بباريس من لدن الهيئة الدولية التي تمخضت عنها الجمعية الدولية للسيميوطيقا والتي قبلت (بدون أن تقصي استعمال السيميولوجيا) مصطلح السيميوطيقا على أنه هو الذي ينبغي ابتداء من الآن أن يغطي جميع المفاهيم الممكنة للمصطلحين المتنافس فيهما. "

والاختلاف بين السيميولوجيا والسيميوطيقا في رأي كثير من الباحثين لا يجب أن يأخذ الجانب الأوسع، أو الحيز الكبير من اهتماماتهم. إذ هما سيان كما رأينا، غير أن هذه الأخيرة، ونعني السيميوطيقا أصبحت تطغى في الساحة. يقول غريماس ردا على سؤال روجي بول دروا Roger-Pol-droit حول الاختلاف بين المصطلحين في حوار صدرته صحيفة " العالم " 7 Le Monde يونيو 1974م تحت عنوان: " علم العلامات " : " أظن أنه لا ينبغي أن نضيع الوقت في مثل هذه الجدالات الكلامية حينما تكون أمامنا أشياء كثيرة. فعندما تقرر منذ سنوات في 1968 إحداث جمعية دولية، وجب الاختيار بين المصطلحين. وتأثير من جاكبسون وموافقة ليفي شتراوس وبنفنست وبارت بالإضافة إلي تم التمسك بالسيميوطيقا غير أن مصطلح السيميولوجيا له جذور عميقة في فرنسا. ومن ثم تم الأخذ بتسمية مزدوجة، وقد يعتقد اليوم أن الأمر يتعلق بشيئين مختلفين. وهذا أمر مغلو طبعاً. وسنقترح في الغالب وتبعاً لنصيحة هيلمسليف لتخصيص اسم السيميوطيقات Sémiotiques للأبحاث المتعلقة بالمجالات الخاصة كالمجال الأدبي والسينمائي والحركي كما سنعتبر السيميولوجيا بمثابة النظرية العامة لهذه السيميوطيقات ".

أهم ما يمكن أن نستشفه من خلال هذا التصريح ال "كريماسي" هو أنه حاول أن يقدم تفسيراً دقيقاً لظاهرة لم يتم الحسم فيها على ما يبدو واقترح تبعاً لنصيحة هيلمسليف Hjelmslev الأبحاث التي سيختص بها كل على حدة. فالسيميوطيقا ستتنصب اهتماماتها على القسم المتعلق بالمجالات التطبيقية في حين يعد علم السيميولوجيا مجالاً نظرياً عاماً تتدرج تحته جميع السيميوطيقات وهذا ما نلامسه من خلال تصفحنا لبعض الكتب التي ألفت في هذا المجال. فحينما يتعلق الأمر بتحليل نصوص أدبية كانت أم توراتية (دينية) أو حينما يتعلق الأمر بمحاولات تطبيقية بصفة عامة. يفضل مؤلفو هذه الكتب استعمال مصطلح السيميوطيقا لعنونة مؤلفاتهم التطبيقية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر " : عن المعنى: محاولات سيميوطيقية Du " " sens :essais sémiotiques و"موباسان: سيميوطيقة النص، تمارين تطبيقية "

Maupassant :la "sémiotique du texte : exercices pratiques والتحليل السيميوطيقي

للنصوص Analyse sémiotique des textes -جماعة أنتروفيرن وغيرها من المؤلفات مثل : ميشيل أرفي وكوكيه إلخ...

ونستنتج من كل ما سبق، أن السيميولوجيا والسيميوطيقا كلمتان مترادفتان مهما كان بينهما من اختلافات دلالية دقيقة، أي إن السيميولوجيا تصور نظري والسيميوطيقا إجراء تحليلي وتطبيقي. وبالتالي، يمكن القول بأن السيميولوجيا هي علم ونظرية عامة ومنهج نقدي تحليلي وتطبيقي.

2 - المرجعيات:

وتجدر الإشارة إلى أن السيميولوجيا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنموذج اللساني البنيوي الذي أرسى دعائمه وأسسها العالم السويسري فرديناند دو سوسير منذ القطيعة الإبيستمولوجية التي أحدثها في ميدان الدراسات الألسنية إن جاز التعبير مع الفيلولوجيا وفقه اللغة واللسانيات التاريخية الدياكرونية. وقد جعلت هذه القطيعة اللسانيات العلم الشامل والرائد الذي تستفيد منه مختلف المدارس والمشارب المعرفية كالنقد الأدبي والأسلوبية والتحليل النفسي وعلم الاجتماع بالإضافة إلى جهود الوظيفيين والكلوسماتيكين في اللسانيات والشكلانيين الروس في الشعرية.

وأخيراً، السيميولوجيا باعتبارها علماً حديث النشأة اقتدت هي الأخرى في بناء صرحها النظري بالمبحث اللساني البنيوي، واستقت منه تقنيات وآليات ومفاهيم تحليلية تعد بمثابة مرتكزات أساسية يقوم عليها المبحث السيميائي الحديث، ولاسيما سيميوطيقا الدلالة التي تتدرج في إطارها أبحاث رولان بارت السيميائية. هذا الأخير الذي التجأ منهجياً إلى اشتقاق بعض الثنائيات اللسانية وطبقها على موضوعات سيميائية غير لغوية ذات طبيعة اجتماعية كالألبيسة والأطعمة... إلخ. أهم هذه الثنائيات: اللسان/الكلام، الدال/المدلول، المركب/النظام، التقرير/الإيحاء .

وعليه، يمكن أن نحدد مجموعة من المرجعيات التي استندت إليها السيميولوجيا أو السيميوطيقا. ومن هذه المرجعيات أو المصادر:

- 1- الفكر اليوناني مع أفلاطون وأرسطو والرواقين؛
- 2- التراث العربي الإسلامي الوسيط (المتصوفة- نقاد البلاغة والأدب كالجاحظ...)؛
- 3- الفكر الفلسفي والمنطقي والتداولي (بيرس، فريج، كارناب، راسل...)؛
- 4- اللسانيات البنيوية والتداولية التحويلية بكل مدارسها واتجاهاتها؛
- 5- الشكلانية الروسية ولاسيما فلاديمير بروب صاحب المتن الخرافي الذي انطلق منه كريماس وكلود بريمون لخلق تصورهما النظري والتطبيقي إلى جانب أعلام أخرى في مجالات الشعر والأدب والسرد...؛
- 6- فلسفة الأشكال الرمزية مع إرنست كاسيرر الذي درس مجموعة من الأنظمة الرمزية التواصلية مثل:

3- مبادئ السيميوطيقا:

من المعلوم أن السيميوطيقا هي لعبة الهدم والبناء، تبحث عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبنى الدالة. ولا يهتم السيميوطيقا المضمون ولا من قال النص، بل ما يهتمها كيف قال النص ما قاله، أي شكل النص. ومن هنا فالسيميوطيقا هي دراسة لأشكال المضامين. وتتبنى على خطوتين إجرائيتين وهما: التفكيك والتركيب قصد إعادة بناء النص من جديد وتحديد ثوابته البنيوية.

وترتكز السيميوطيقا على ثلاثة مبادئ أساسية، وهي:

أ- تحليل محايث: نقصد بالتحليل المحايث البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة وإقصاء المحيل الخارجي. وعليه، فالمعنى يجب أن ينظر إليه على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر.

ب- تحليل بنيوي: يكتسي المعنى وجوده بالاختلاف وفي الاختلاف. ومن ثم، فإن إدراك معنى الأقوال

والنصوص يفترض وجود نظام مبين من العلاقات. وهذا بدوره يؤدي بنا إلى تسليم أن عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلاقات القائمة بينها. ولذا لا يجب الاهتمام إلا بالعناصر إلا ما كان منها داخلا في نظام الاختلاف تقييما وبناء. وهو مانسميه شكل المضمون، أي بعبارة أخرى تحليلا بنيويا لأنه لا يهدف إلى وصف المعنى نفسه، وإنما شكله ومعمار.

ت- تحليل الخطاب: يهتم التحليل السيميوطيقي بالخطاب، أي يهتم ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص

وهو ما يسمى بالقدرة الخطابية. وهذا ما يميزه عن اللسانيات البنيوية التي تهتم بالجملة .

4 - المدارس والاتجاهات السيميولوجية:

لقد استعرض مارسيلو داسكال هذه الاتجاهات في اتجاهين رئيسيين: المدرسة الأمريكية المنبثقة عن بيرس والتي يمثلها كل من موريس وكراناب وسيبوك ، والمدرسة الفرنسية أو بالأحرى الأوربية المنبثقة عن سوسير والتي يمثلها كل من بويسنس وبرييطو وجورج مونان ورولان بارت وغيرهم. كما استعرض بعض الاتجاهات الفرعية الأخرى يمثلها كل من كريمةس ويوشنسكي وجوليا كريستيفا. لكن ما يلاحظ على مارسيلو داسكال Marcelo Dascal هو إغفاله لاتجاه أو مدرسة تعد من أهم المدارس السيميولوجية الروسي، وهي مدرسة تارتو التي يمثلها كل من يوري لوتمان وأسبنسكي وبياتغورسكي وإيفانوف.

أما الأستاذ محمد السرغيني فهو يرتضي تقسيما ثلاثيا للاتجاهات السيميولوجية تتمثل في الاتجاه الأمريكي والاتجاه الفرنسي والاتجاه الروسي. ولكنه يقسم الاتجاه الفرنسي إلى فروع على النحو التالي:

1- سيميولوجيا التواصل والإبلاغ كما عند جورج مونان؛

2- اتجاه الدلالة الذي ينقسم بدوره إلى الأشكال التالية:

- أ - اتجاه بارت وميتز الذي يحاول تطبيق اللغة على الأنساق غير اللفظية.
 ب - اتجاه مدرسة باريس الذي يضم : ميشيل أريفي وكلود كوكيه وكريماس.
 ت - اتجاه السيميوطيقا المادية مع جوليا كريستيفا.
 ث - اتجاه الأشكال الرمزية مع مولينو وجان جاك ناتبي أو ما يسمى مدرسة " إيكس " على اعتبار مولينو كان ولا يزال يدرس بكلية آداب هذه المدينة الفرنسية .
 في حين يفضل مبارك حنون التقسيم التالي: سيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الدلالة، وسيميوطيقا بورس، ورمزية كاسيرر وسيميولوجيا الثقافة مع الباحثين الروس (يوري لوتمان وأوسبانسكي وإيفانوف وطوبوروف...) والباحثين الإيطاليين (أمبرطو إيكو وروسي لاندي...)، وتتعلق هذه السيميولوجيا من اعتبار " الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية ."

5- موضوع السيميائيات:

من خلال تمعن التعريفات التي قدمت للسيميائيات يتضح أنها جميعها تتضمن مصطلح العلامة. ويعني هذا أن السيميولوجيا هي علم العلامات (الأيقون - الرمز - الإشارة). ومن الصعب إيجاد تعريف دقيق للعلامة لاختلاف مدلولها من باحث لآخر. فعند فرديناند دوسوسير تتكون العلامة من الدال والمدلول والمرجع. ولكنه استبعد المرجع لطابعه الحسي والمادي واكتفى بالصورة الصوتية وهي الدال والصورة الذهنية المعنوية وهي المدلول. كما اعتبر السيميولوجيا علما للعلامات التي تدرس في حضان المجتمع. وهذا يؤكد لنا ارتكاز العلامة على ماهو لغوي ونفسي واجتماعي. وتبدو العلامة في تعاريف السيميائيين كيانا واسعا ومفهوما قاعديا وأساسيا في جميع علوم اللغة. وتتقسم العلامات على نسقين:

أ - العلامات اللغوية المنطوقة: (اللغة- الشعر - الرواية). (...-

ب - العلامات غير اللفظية: (الأزياء - الأطعمة والأشربة - الإشهار - علامات المرور - الفنون الحركية والبصرية كالسينما والمسرح والتشكيل). (...)

وإذا كانت العلامة عند سوسير علامة مجردة تتكون من الدال والمدلول ، أي تتجرد من الواقع والطابع الحسي والمرجعي. فإن العلامة عند ميخائيل باختين العالم الروسي ذات بعد مادي واقعي لا يمكن فصلها عن الإيديولوجيا. وفي نظره ليس كل علامة إيديولوجية ظلا للواقع فحسب وإنما هي كذلك قطعة مادية من هذا الواقع. إضافة على ذلك، يرى باختين أن العلامات لا يمكن أن تظهر إلا في ميدان تفاعل الأفراد أي في إطار التواصل الاجتماعي. وبذلك فوجود العلامات ليس أبدا غير التجسيد المادي لهذا التواصل. ومن هنا يخلص باختين في دراسته السيميائية إلى ثلاث قواعد منهجية وهي:

1- عدم فصل الإيديولوجيا عن الواقع المادي للعلامة.

- 2- عدم عزل العلامة عن الأشكال المحسوسة للتواصل الاجتماعي.
3- عدم عزل التواصل وأشكاله عن أساسهما المادي .

6 - علاقة السيميائيات بالمجالات الأخرى:

للسيميولوجيا تفاعلات كثيرة مع معارف وحقول أخرى داخل المنظومة الفكرية والعلمية والمنهجية. فقد ارتبطت السيميولوجيا في نشأتها مع اللسانيات والفلسفة وعلم النفس والسوسيولوجيا والمنطق والفينومولوجيا أو فلسفة الظواهر علاوة على ارتباطها بدراسة الأنثروبولوجيا كتحليل الأساطير والأنساق الثقافية غير اللفظية. كما ترتبط السيميولوجيا منهجيا بدراسة الأدب والفنون اللفظية والبصرية كالموسيقى والتشكيل والمسرح والسينما. وترتبط كذلك بالهرمونيقيًا وبدراسة الكتب الدينية المقدسة. وارتبطت كذلك بالشعرية والنحو والبلاغة وباقي المعارف الأخرى. وإذا كانت السيميولوجيا أعم من اللسانيات أي إن اللسانيات جزء من السيميولوجيا كما عند سوسير فإن رولان بارت يعتبر السيميولوجيا أخص من اللسانيات، أي إن السيميولوجيا فرع من اللسانيات وأن كثيرا من العلامات البصرية والأنساق غير اللفظية تستعين بالأنظمة اللغوية.

7 - مجالات التطبيق السيميولوجي:

لقد صار التحليل السيميوطيقي تصورا نظريا ومنهجا تطبيقيا في شتى المعارف والدراسات الإنسانية والفكرية والعلمية وأداة في مقارنة الأنساق اللغوية وغير اللغوية. وأصبح هذا التحليل مفتاحا حداثيا وموضة لا بد من الالتجاء إليها قصد عصرنه الفهم وآليات التأويل والقراءة. ويمكن الآن أن نذكر مجموعة من الحقول التي استعملت فيها التقنية السيميوطيقية للتفكيك والتركيب:

- 1- الشعر (مولينو - رومان جاكسون - جوليا كريستيفا - جيرار دولودال - ميكائيل ريفاتير). (....)
- 2- الرواية والقصة: (كريمة - كلود بريموند - بارت - كريستيفا - تودوروف - جيرار جنيت - فيليب هامون). (...)
- 3- الأسطورة والخرافة: (فلاديمير بروب). (...)
- 4- المسرح (هيلبو - كير إيلام). (Elam Keir)
- 5- السينما (كريستيان ميتز - يوري لوتمان). (...)
- 6- الإشهار (رولان بارت - جورج بنينو - G. Penino - جان دوران). (J. Durand ...)
- 7- الأزياء والأطعمة والأشربة والموضة (رولان بارت). (....)
- 8- التشكيل وفن الرسم: (بيير فروكستيل - Pierre Francastel - لويس مارتان - louis Martin هوبرت داميش - Ebert Damisch - جان لويس شيفر). (....)
- 9- التواصل: (جورج مونان - برييطو). (....)

10- الثقافة (يوري لوتمان - توبوروف - بياتيكورسكي - إيفانوف - أوسبنسكي - أمبرطو إيكو - روسي لاندي - ...).

11- الصورة الفوتوغرافية: (العدد الأول من مجلة التواصل - رولان بارت. (...). Avedon - ...).

21- القصة المصورة: (La bande dessinée بيير فريزنولد دوريل - Pierre Fresmanlt - Deruelle.....).

13- الموسيقى: (مجلة Musique en jeu في سنوات 70-1971. ...).

14- الفن: (موكاروفسكي.).

8 - السيميولوجيا في العالم العربي:

ظهرت السيميولوجيا في العالم العربي عن طريق الترجمة والمثاقفة والاطلاع على الإنتاجات المنشورة في أوروبا والنلمذة على أساتذة السيميولوجيا في جامعات الغرب . وقد بدأت السيميولوجيا في دول المغرب العربي أولاً، وبعض الأقطار العربية الأخرى ثانياً، عبر محاضرات الأساتذة منذ الثمانينيات عن طريق نشر كتب ودراسات ومقالات تعريفية بالسيميولوجيا (حنون مبارك - محمد السرغيني - سمير المرزوقي - جميل شاكر - عواد علي - صلاح فضل - جميل حمداوي - فريال جبوري غزول - ...)، أو عن طريق الترجمة (محمد البكري - أنطون أبي زيد - عبد الرحمن بوعلي - سعيد بنكراد...)، وإنجاز أعمال تطبيقية في شكل كتب (محمد مفتاح - عبد الفتاح كليطو - سعيد بنكراد - محمد السرغيني - سامي سويدان...)، أو مقالات (انظر مجلة علامات ودراسات أدبية لسانية وسيميائية بالمغرب ومجلة عالم الفكر الكويتية وعلامات في النقد السعودية ومجلة فصول المصرية... -، ورسائل وأطروحات جامعية تقارب النصوص الأدبية و الفنية والسياسية... على ضوء المنهج السيميائي أنجزت بالمغرب وتونس وهي لاتعد ولاتحصى.

ولقد وقع النقد السيميولوجي العربي في عدة اضطرابات اصطلاحية ومفاهيمية في ترجمة المصطلح الغربي Sémiologie-Sémiotique إذ نجد : علم الدلالة (محمد البكري...)- الرمزية (أنطون طعمة في دراسته " السيميولوجيا والأدب - (...)" السيمياء) محمد مفتاح في كتابه " في سيمياء الشعر القديم" - علم العلامات - علم الإشارات - السيميولوجيا - السيميوطيقا...

وما يلاحظ على هذه التطبيقات السيميائية أنها عبارة عن تمارين شكلية تغفل الجوانب المرجعية والمضمونية والأبعاد الإيديولوجية، كما تخلط بين المناهج تليفاً وانتقاءً. أما النتائج المتوصل إليها فأغلبها تبقى - في اعتقادي - تحصيل حاصل بعد تسويد العديد من الأوراق المرفقة بالأشكال والجداول والرسومات الهندسية والأسهم التواصلية؛ ولكن الفائدة قليلة جدا تتمثل في لعبة التفكيك والتركيب دون الحصول على معارف جديدة ماعدا القليل من الدراسات والأبحاث الجادة. ويلاحظ أيضاً أن هذا المنهج السيميائي يقف عند حدود الملاحظة والوصف ولا يتعدى ذلك إلى التقويم والتوجيه الذين يعدان من أهم عناصر النقد الأدبي.

تلکم نظرة موجزة عن مفهوم السيميولوجيا وما يتصل بها من مفاهيم، وتلکم كذلك أهم مناقبتها المرجعية و مبادئ التحليل السيميائي ومستوياته ومدارسه واتجاهاته وتطبيقاته في الغرب والعالم العربي.

-الهوامش:

1 - عبد الرحيم جيران: (مفهوم السيميائيات)، الحوار الأكاديمي والجامعي، العدد1، السنة 1يناير1988، ص:7؛

- J.C.Coquet et autres : Sémiotique : l'école de Paris. Hachette 1982, Paris : 5 ;

- A regarder, Le petit Robert, Paris, 1976, p : 1633 ;

-أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص: 3؛

-مبارك حنون: (السيميائيات بين التوحد والتعدد)، الحوار الأكاديمي والجامعي، العدد2، فبراير 1988، السنة1، ص: 8؛

-فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، ط1، 1987، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص:88؛

-نفس المرجع، ص:26؛

-Oswald Ducrot/Tzvetan Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Edition du Seuil, 1972, p : 11 ;

-نقلا عن ترجمة إدريس بلمليح: الرؤية البيانية عند الجاحظ، ط1، 1984، دار الثقافة ، البيضاء، ص:111؛

-ببير غيرو: السيمياء، ترجمة: أنطون أبي زيد، ط1، 1984، منشورات عويدات بيروت ، لبنان، ص: 5؛

- George Mounin : Clefs pour la

Linguistique .Collection Clefs ,19 éditions, Paris : 133 ;

- U .ECO : La Structure Absente : 8 ;

- Coquet et autres : Sémiotique : l'école de Paris, p : 5 ;

-ترنس هوكز: البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة مجيد الماشطة، ط1، 1996، بغداد ، العراق، ص:114؛

-U. Eco : la Structure Absente : 11 ;

- A regarder : la sémiotique : L'école de Paris, Paris :128 ;

-رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار قرطبة للنشر بالدار البيضاء ، ط1،

؛1986

-Groupe d'Entreverne : Analyse Sémiotique des textes, éd. Toubkal,
Casablanca, 1987, p : 7-9 ;

-مارسيلو داسكال: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة حميد لحميداني وآخرين، ط1 ، 1987، دار
أفريقيا الشرق، البيضاء.

-د. محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة ، الدار البيضاء، ط1، 1987م؛

-محمد السرغيني: نفس المرجع، صص:55-66؛

-مبارك حنون :دروس في السيميائيات، ط1 ، 1987، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء؛

-المرجع السابق، ص: 85؛

-انظر د. عبد الرحمن بوعلي: محاضرات في السيميولوجيا، أقيمت على طلبة الإجازة بكلية الآداب بوجدة

سنة 2005-2006؛